# وظائف

بقلم
فضيلة الشيخ
سليمان
المدني

لقد اختلفت وظائف العائلة من دور اجتماعي الى دور آخر ، فوظائف العائلة في البحرين قبل أربعين سنة تختلف اختلافا كبيرا عن الوظائف الملقاة على عاتق العائلة اليوم ، وسيتجلى ذلك بعد قليل عند المقارنة بين وظائف العائلة في المجتمع القديم ووظائفها في المجتمع الحديث .. الوظيفة الوحيدة التي لم تتغير ولا نحتمل أن تتغير مهما تطورت الحضارة ومهما ارتفت المدنية من وظائف العائلة هي وظيفة «الانسال» ، فالغرض الاساسي من الزواج هو المساهمة في اكثار النسل وحفظ النوع ، ولم يجعل الله سبحانه في الانسان هذه المحفزات الطبيعية للاقتران الجنسي لهذه الغاية ، وما أعد الله الانسان ليتحمل مسئوليات الزواج من فقد حرية وقيام بواجبات الا لهذا الغرض ، ويوم يغير الانسان رأيه في هذا الامر ويتوقف عن مهمة المشاركة في الانتاج البشري فان الحياة الزوجية ستفقد طعمها الحلو وسوف لن يكون هناك مبرر لبقاء العائلة كمؤسسة اجتماعية ، ولذلك أكاد أجزم بأن هذا الامر سوف يبقى على كاهل الانسان ومن وظائف العائلة مهما تطور العلم ومهما تغيرت الحضارة ، وحتى اذا تمكن الانسان من انتاج الاطفال عن طريق المصانع والمختبرات بصورة تجارية فان الناس لن يوافقوا على ترك هذه المهمة والاعتماد على الاطفال الصناعيين في حفظ نوعهم .

المهم الان أن نتفرغ لبيان وظائف العائلة في المجتمع القديم ومقارنتها بالوظائف الملقاة على عاتقها في المجتمع الحديث :

## التعليم والاعداد المهني

في المجتمع القديم كانت العائلة مسئولة عن تعليم أبنائها واعدادهم مهنيا حتى يتمكنوا من مواجهة ظروف الحياة الصعبة ومتطلباتها عندما ينفصلوا عن عائلة الاصل ويكونوا عوائلهم الخاصة ، وبسبب هذا الامر نجد الاتصال المهني بين العائلة الاصل وما تفرع عنها من عوائل . فأبناء الفلاح سيكونون فلاحين بينما لا نرتجي لابناء الخياط أن يمتهنوا غير الخياطة وهكذا في سائر المهن حتى صارت المهن وكأنها جزء من التركة الحضارية للعائلة ، وربما لحق الاشمئزاز الاجتماعي بأي فرد يحاول الخروج على طريقة آبائه والالتحاق بمهنة جديدة ، ومثلهم السائر في ذلك الوقت يتلخص في بيت الشعر الشعبي القائل :

**من تردى برداء ما تردى بأبيه**
**سوف يأتيه زمان يتمنى الموت فيه**

ومن الملاحظ أن الشخص الذي يحاول الانتقال من حرفة الى حرفة لايحصل على تشجيع من قبل المجتمع في أغلب الاحيان يحصل على مقاومة عنيفة من أصحاب الحرفة الجديدة وعدم وثوق من المجتمع ليتمكن من النجاح في عمله الجديد . فالناس يرغبون أن يتعاملوا مع شخص أخذ الصنعة كابرا عن كابر ومثلهم المسلم به في صفوفهم ( ولد الاستاذ أستاذ ونص ) فيفشل المسكين في حياته الجديدة ويأتي عليه الزمان الذي يتمنى الموت فيه فعلا ليضطره الى المرجوع الى مهنة الاباء والاجداد التي تعلمها من نعومة أظافره .

أما في العصر الحديث فقد انتقلت مهمة التعليم والاعداد المهني عن كاهل العئلة فأوجد المجتمع المدارس والمعاهد والجامعات على اختلاف أنواعها وأغراضها وصار كل انسان يتعلم المهنة التي تروقه بغض النظر عن حرفة والده أو جده . وفي ذلك تخفيف كبير على العائلة وان كان يحرمها من ان تكون لها تركة مهنية خاصة بها .

● من الوظائف التي كانت ملقاة على كاهل العائلة هي مسئولية اعداد الطعام : فالمطاعم العامة لم تكن قد وجدت بعد في الازمان الماضية ، ولذلك فالعائلة هي المسئولة عن اطعام أفرادها ، والافراد ملزمون بتناول تلك الانواع الرتيبة من الاطباق التي تطهوها العائلة اذ لا يوجد مكان آخر يستطيع الانسان أن يتناول فيه طعامه خارج البيت .

وهذه المسئولية تلقى عادة على كاهل المرأة في المجتمعات القديمة ، فالعمل خارج البيت من نصيب الرجل ، أما ادارة البيت ومسئولياته الداخلية فهي من نصيب المرأة وقلما يتدخل الرجل في الشئون البيتية ، كما انه من النادر أن تعنى المرأة بالسؤال عن عمل زوجها في الخارج . وقد كانت الفتيات تعد لذلك اعدادا جيدا فتدرب لمدة طويلة على الاعمال البيتية من طبخ وتربية وغيرها في بيت أبيها ، اذ من العيوب الكبيرة ان تتزوج وتخرج الى بيت الزوجية وهي لا تجيد هذه الاعمال ، فهذا العيب يسري لامها حيث تصبح ( خارق بنت خارق ) أي فاشلة بنت فاشلة ، فهي فاشلة في تدبير مملكتها ( بيتها ) وأمها فاشلة في تربيتها .

والاعتماد الانسان على ما تقوم به العائلة من الطعام ينشأ عند أفراد العائلة ذوق معين في تفضيل المأكل على

# الولاية فى الشريعة الاسلامية

# العائلة

بعضها البعض ، بل ربما يسود ذوق واحد القرية بأسرها اذا ما تعدد التزاوج بين العوائل المتجاورة .

وكالحال فى المطعم حال الملبس فالعائلة هى التى تعد الملبس لافرادها وبأيدى نسائها تخاط الثياب اذ لم تكن الخياطة كمهنة من المهن قد انتشرت على ما هى عليه اليوم ولذلك يكون للبلد الواحد وربما القطر الواحد بأسره زى مشترك يدل على ذلك المجتمع دلالة واضحة، والمجتمعات تدافع عن زيها وعوائدها دفاعا قويا وذلك عن طريق استنكار تبديل الزى بين أفرادها واستهجان ذلك ، ولا نزال نتفكه بترديد بيت الشعر الشعبى الذى يستهجن فيه الشاعر عمال شركة النفط بأنهم يلبسون الزى الاوربى ويصفهم بأنهم أطفال فى القماط فيقول :

**تنديلج القمط ما يريد الثوب**
**ينقل بالرمل والنوخذا مهبوبا**

أما فى العصر الحاضر فقد انتقلت هاتان الوظيفتان عن كاهل العائلة فقلما نجد عائلة تخيط ثيابها بنفسها ، وانتشرت دكاكين الخياطة وابتكار موضات الملابس للرجال والنساء فى المدن والارياف ، ولم يعد للزى تلك القدسية ولا الدلالة الاجتماعية المهمة الا فى بعض المؤسسات العامة التى تتخذ لها زيا خاصا بها كالجيوش والشرطة والقضاة فى بعض البلدان والفراشين .

كما ابتدأ الناس لا يفتنون بطهى العائلة وذلك لانتشار المطاعم المتعددة وما تقدمه من أطباق مختلفة تتناسب كثيرا من الاذواق ، أما الخبز فيندر فى هذه الايام أن يصنع فى البيت بعد ان وجدت المخابز التى تنتج أصنافا كثيرة من الخبز ، بل يعسر جدا أن تجد فتاة تجيد صناعة الرغيف وقد كان فى السابق معرفة ذلك شرطا فى قبول الفتاة زوجة محترمة .

● فى المجتمعات القديمة يشترط فى كل امرأة أن تكون قادرة على التمريض : فقد كانت العائلة مسئولة عن تمريض أفرادها وعلاجهم ، وللعوائل خاصيات من الادوية يعتقدون بافادتها فى كثير من الامراض التى يدعون معرفتها بمجرد وصف بعض أعراضها، فاكثر الناس يعتقدون بأن تعريق الجسم مزيل للحمى ، ورأيت وانا صغير عائلة تعالج الحمى عن طريق دلك باطن القدم بالماء الحار والملح ، ويعتقدون ان ذلك مفيد ، واذا تعقد حال المريض فيستشير أهله عادة ( الحكيم ) وهو حواج يبيع المواد الخام للمقاقير وربما يقوم بتقطير المياه ، وكانت العوائل فى ريف البحرين تلجأ أحيانا الى أدوية شاذة ومن ذلك : انهم يعالجون أوجاع البطن لدى الطفل بالماء الذى مرر عليه دخان التبغ مدة طويلة ( ماء النارجيلة ) ومعلوم ان هذا الماء يخدر الطفل فينام ولذلك يعتقدون بأنه قد أفاده .

على أى حال فى الوقت الحاضر انتقلت هذه المهمة من العائلة الى المجتمع فأوجد لذلك المستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية والصيدليات وتحول الطب والتمريض الى مهنة يتقاضى الانسان الاجرة عن القيام بها وأعدت لذلك المعاهد والكليات لتخريج المختصين فى شئون التطبيب والتمريض والصيدلية ووجدت بالبلاد الراقية المصانع الكبيرة لانتاج الادوية وأدوات العلاج على اختلافها .

★★★

أكثر المهمات التى كانت العائلة تقوم بها فى السابق قد أخذها المجتمع اليوم ورفعها عن كاهلها ، والتى لم تتخل عنها العائلة كليا شاركها المجتمع فى تحملها وأوجد الادوات التى تساعد العائلة على تخفيف آثارها ، فما هو مبرر بقاء العائلة كمؤسسة اجتماعية مقدسة لها دورها الحياتى الخطير ؟ وبمعنى آخر بعد أو وفر المجتمع العصرى الجنس اما عن طريق البغاء واما عن طريق الصداقة والمخادنة ووفر المطاعم للمأكل والخياطين وشركات الغسيل للملبس والمستشفيات للعلاج والفنادق للنوم والاندية والمراقص والسينماءات للترفيه فلماذا يربط الرجل نفسه بوثاق يقيد حريته وتربط المرأة نفسها بهذا الرباط وكل شيء يرتجيانه ويأملان فى حصوله عن طريق تكوين العائلة قد توفر خارجها ؟

سؤال يتحدى الحضارة الجديدة من جهة ويتحدى ما تبقى من قيم من الماضى ومنها الحياة العائلية من جهة أخرى وللاجابة على هذا السؤال اقرأ موضوعنا فى عدد آت ان شاء الله تعالى .

●